عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الرابع والعشرون ـ العدد الثالث ـ يناير / مارس ١٩٩٦

الأدب العبري المعاصر : قضايا وإشكاليات

- الاتجاهات الرئيسية للأدب العبري المعاصر في إسرائيل
- الاغتراب في الأدب العبري المعاصر
- صورة اليهودي الشرقي في الأدب العبري المعاصر
- الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة
- إشكالية الاندماج الطائفي في شعر يهود الشرق في إسرائيل
- كتب ورسائل علمية عن الأدب العبري المعاصر

السيميولوجيا والنصوص الأدبية

- حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء)
- السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير
- السيميولوجيا والأدب : مقارنة سيميولوجية تطبيقية للقصة الحديثة والمعاصرة
- السيميولوجيا والتجريب المسرحي
- السيميولوجيا وأدب الرحلات

عالم الفكر

مجلة دورية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

رئيس التحرير : د. سليمان العسكري

هيئة التحرير : د. تركي الحمد
د. خلدون النقيب
د. رشا حمود الصباح
د. عبدالمالك التميمي
د. محمد جابر الأنصاري
د. محمد رجب النجار

مديرا التحرير : نوال المتروك ـ عبدالسلام رضوان

عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مجلة فكرية محكمة، تهتم بنشر الدراسات والبحوث المتسمة بالأصالة النظرية والإسهام النقدي في مجالات الفكر المختلفة.

قواعد النشر بالمجلة:

ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات ـ والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية:

١ـ أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره.

٢ ـ أن يتبع البحث الأصول العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة.

٣ ـ يتراوح طول البحث أو الدراسة مابين ١٢,٠٠٠ ألف كلمة و ١٦,٠٠٠ ألف كلمة.

٤ ـ تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

٥ ـ تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري.

٦ ـ البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

- *تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.*
- *الدراسات التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها وحدهم.*

ترسل البحوث والدراسات باسم: الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب: ٢٣٩٩٦ الصفاة ١٣١٠٠ الكويت ـ فاكس: ٢٤٣١٢٢٩.

المحتويـــات

الأدب العبري المعاصر: قضايا وإشكاليات ٧

الاتجاهات الرئيسية للأدب العبري المعاصر في إسرائيل..... د. رشاد عبدالله الشامي ٩
الاغتراب في الأدب العبري المعاصر..... د. أحمد حماد ٣٧
صورة اليهودي الشرقي في الأدب العبري المعاصر..... د. جلاء إدريس ٦٣
الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة ..... د. محمود صميدة ٩٣
إشكالية الاندماج الطائفي في شعر يهود الشرق في إسرائيل .....د . جمال الرفاعي ١٣١
كتب ورسائل علمية عن الأدب العبري المعاصر ١٥٣

السيميولوجيا والنصوص اللغوية ١٧٧

حول إشكالية (السيمياء) أو السيميولوجيا .....د. عادل فاخوري ١٧٩
السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير..... د. محمد إقبال ١٨٩
السيميولوجيا والأدب: مقاربـة سيميولوجية تطبيقية
للقصـة الحديثـة والمعاصـرة ..... د. أنطوان طعمة ٢٠٧
السيميولوجيا والتجريب المسرحي .....د. رئيف كرم ٢٣٥
السيميولوجيا وأدب الرحلات .....د. لطيف زيتوني ٢٥١

آفاق نقدية ٢٧٧

روايات هرمان هيسّه وقصصه في ترجماتها العربية ..... د. عبده عبود ٢٧٧
أزمة الفن التشكيلي ..... د. كمال عيد ٢٩٥

حول إشكالية السيميولوجيا

(السيمياء)

د.عادل فاخوري

منذ أكثر من نصف قرن والدراسات السيميائية تشهد توسعا في كافة الاتجاهات . فالمؤلفات التي تبحث في العلامات وأصنافها أو تعالج موضوعات تطبيقية معينة طغت على غيرها من الأدبيات . بل إنه بسبب شمولية هذا العلم بات من الممكن التطرق لأي مجال من زاوية سيميائية . كما أنه ظهرت عشرات المجلات المتخصصة ، أشهرها مجلة الجمعية الدولية للدراسات السيميائية Semi-otica ومجلة Semiosis الألمانية و Versus الإيطالية و Degrés البلجيكية ، ناهيك عن كثير من المجلات في اللغة والبلاغة وعلم الجمال التي تحتضن موضوعات متفرقة في علم السيمياء . كذلك تعددت المؤتمرات وتشعّبت إلى دراسات ومناقشات فرعية صدرت عنها منشورات متعمقة في معظم الجوانب . كل هذا الازدهار المتزايد في ميادين البحث والتأليف قد يوهم أن السيمياء تجاوزت المرحلة التأسيسية وحلت معظم الإشكالات التي تعترض نموها ، وأصبحت علما راسخا قائما على تعريفات وقواعد معترف بها يمكن تطبيقها بشكل نافع ومثمر على أي مجال من مجالات العلامات . والواقع أن الأسئلة الجوهرية حول طريقه بناء هذا العلم بل وحول أصالته ، مازالت مطروحة . إن شمولية علم السيمياء غير المحدودة ، التي هي سر جاذبيتها ، هي في الوقت نفسه حجرة عثرة في تقدمها وتطورها . أهل من المجدي الانطلاق من تعريف عام للعلامة ، ومن ثم تقسيم العلامات استنادا إلى هذا التعريف ، أم لابد من البدء من دراسات عينية في كل مجال من المجالات على حدة ومن ثم ملاحظة الخصائص المشتركة فيما بينها ورفعها إلى علم كلي؟ أو أيضا هل ينفع أن تستعير السيمياء مفاهيمها من العلوم التي تعمقت في دراسة أكثر مجالاتها تطورا وهي اللغات الطبيعية ، فتكتفي بتبني مصطلحات النحو والبلاغة وحملها على مجالات أخرى؟

إن النهج التقليدي الذي شاع مع الفلسفة اليونانية هو الانطلاق من تعريف عام للدلالة يستند أساسا على الدلالات اللغوية. فالدلالة اللغوية، كما يقول مناطقة العرب، هي نسبة بين اللفظ والمعنى، وبالتالي فالدلالة بوجه عام هي نسبة بين الدال والمدلول. ومن الواضح أن هذا التعريف ذاته هو الذي استعاره دو سوسير مع استبدال كلمة «دلالة» بكلمة «علامة» Signe، وهكذا تكون العلامة عنده اقتران بين الدال Signifiant والمدلول Signifié. استنادا إلى هذا التعريف يتم تقسيم العلامة وفقا لنوعية النسبة القائمة بين الدال والمدلول. فأرسطو يلحظ فقط نوعين من النسبة واحدة طبيعية Physei وأخرى وضعية Thesei. أما المناطقة العرب فيميزون ثلاثة أنواع من النسب: طبيعية وعقلية ووضعية. فالدلالة الطبيعية هي «دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه. والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع، سواء كانت طبيعة اللافظ أو طبيعة المعنى أو طبيعة غيرهما، عروض الدال عند عروض المدلول، كدلالة (أح أح) على السعال، وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضا، وصوت العصفور عند القبض عليه. فإن الطبيعة تنعت بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني»[1]. والدلالة العقلية هي «دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه. والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا، سواء كان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار، أو العكس كاستلزام النار للحرارة أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان للحرارة[2] أما الدلالة الوضعية فهي الدلالة الاتفاقية المتعارف عليها بمعنى «جعل شيء بإزاء شيء آخر، بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني». [3]

لاشك أن ثمة تساوف بين أنواع الدلالات عند العرب وفروع الموضوع عند بيرس Peirce: فالدلالة الطبيعية تشبه الايقونة Icon، والدلالة العقلية الشاهد Index، والدلالة الوضعية الرمز Symbol. بالطبع، إن تصنيف العلامات عند بيرس هو أغنى وأعقد من ذلك، لأن بيرس يعتمد في تعريفه للعلامة على ثلاثة أركان بدلا من ركنين فقط. فيأخذ بعين الاعتبار، في تركيبه للعلامة، ثلاثة أمور: المستحضر أو الماثول Representamen أي الوسيلة التي تستعمل للدلالة، والموضوع Object أي الشيء الخارجي، والتعبير Interpretant أي الصورة الذهنية التي تصدر عن المعبر Interpret:

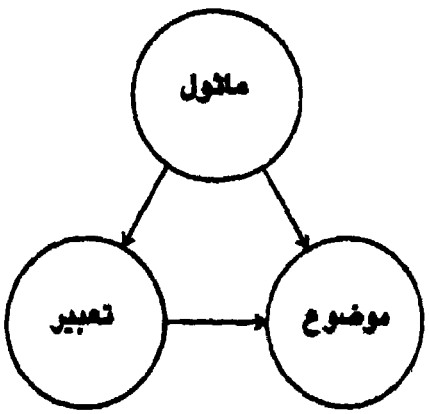

وبالتالي تتعدد النسب عنده إلى ثلاث: نسبة العلامة إلى الماثول أو المستحضر، ونسبتها إلى الموضوع، ونسبتها إلى التعبير. ولما كانت كل نسبة تخضع بدورها لتفريع ثلاثي، فالتفريع الشائع للعلامة إلى شاهد وايقونة ورمز ليس على وجه التحديد سوى تفريع لها بالنسبة إلى الموضوع. أما بالنسبة للماثول فتتفرع الدلالة على التوالي إلى: علامة كيفية Quali-sign وعلامة عينية Sin-sign وعلامة قانونية Legi-sign. وأما بالنسبة للتعبير فتكون العلامة إما تصديقا Rhema أو تصورا Dicent أو حجة Argument. وبالإجمال فالعلامات الفرعية تتشكل على النحو الآتي: [4]

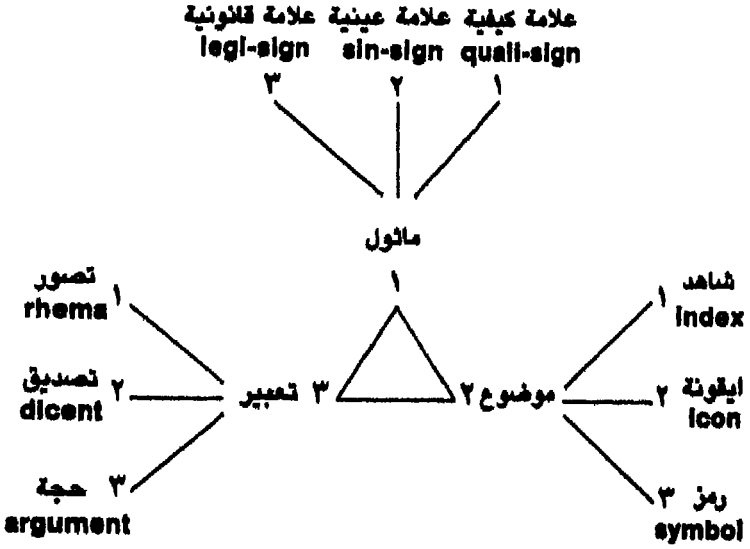

استنادا إلى هـذه المفاهيم لا تستقيم العلامـة بالمعنى الكامـل إلا بالتئام ثـلاثة فروع، كل فـرع من إحدى الأركان الثـلاثة. فهكـذا مثلا تكون إشـارة السير علامـة تصديقية شـاهديـة قانونيـة، وكلمة «بيت» عـلامة تصورية رمزية قانونية الخ.

لا مشاحة في أن التعريفات الثلاثية وطريقة مزجهـا تساهم مساهمة فعالة في توضيح طبيعة العلامات وفي تسويغ وجـود علامات معينـة دون غيرها. إذ أن التراكيب الممكنـة من الفروع تصل إلى ٢٧، بينما العـلامات المقبولة تنحصر فقط في عشر كما يستبان من هذا الجدول:

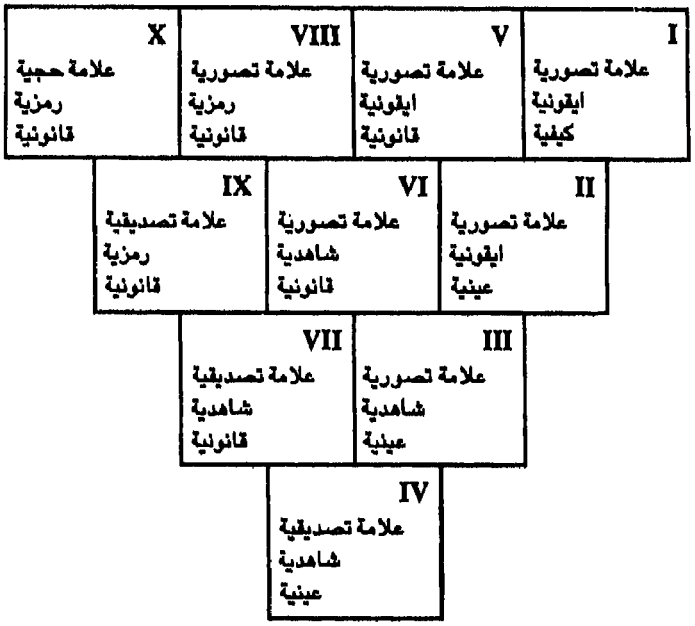

وذلك بسبب الشروط الموضوعة على الأركان والفروع. فهكذا مثلا يستحيل وجود علامة تصديقية شاهدية عينية أو علامة حجية ايقونية قانونية الخ. ولاشك أن هذا التقسيم النظري قد أدى خدمة كبيرة لبعض الأنساق الاتصالية وخصوصا اللغات الطبيعية، فمن المعروف أن تقسيم المستحضر أو الماثول إلى علامة عينية Sin- sign وعلامة قانونية Legi-sign قد شاع استخدامه في اللسانية المعاصرة تحت اسمين مرادفين، من وضع بيرس أيضا، هما العينة Token والنمط Type.

لكن على الرغم من هذه الفوائد، لا يخلو هذا التقسيم النظري المبني على فلسفة قبلية apriori من الاعتباط والتكلف. فإن كان من السهل تطبيق بعض الأصناف على العلامات اللغوية، فمن الإقحام تطبيقها على أنساق أخرى. فقد نقبل بإدراج القضايا الخبرية مثل «الوردة حمراء» و«الطقس ماطر» الخ، تحت العلامة التصديقية الرمزية القانونية، ولكن أنّى لنا أن نفهم تصنيف واجهة البناية في هذا النوع كما يفعل ماكس بنزي M.Bense[٥] وأمبرتو اكو[٦] مثلا. علاوة على ذلك، يبدو لنا أن بعض الأصناف التي يستثنيها جدول بيرس من الوجود هي ممكنة التحقق. فالعلامة التصديقية الايقونية عينية كانت أم قانونية هي قابلة للتحقق، بل إن معظم الصور الفوتوغرافية لا تعطي فقط مجرد تصور عن الموضوع بل إنها غالبا ما تطلق حكما يقبل التصديق أو التكذيب.

إذا أغفلنا النظر عن هذه التراكيب المعقدة، واكتفينا بالثلاثية: ايقونة، شاهد، رمز، كما هو شائع في الأبحاث السيميائية الراهنة، سوف نصطدم بعمومية هذه الأصناف عند التطبيق العملي. من هنا كانت الحاجة إلى تقسيم كل منها إلى فروع جزئية. لذلك أشار بيرس إلى تفريع الأيقونة بدورها إلى صورة Image واستعارة وتمثيل بياني Diagram. لكن من الواضح أن هذا التفريع الجديد ليس سوى عودة إلى الصور البيانية المعروفة في علم البلاغة.

وبالتالي يكون بذلك علم السيمياء كمن استصلح ثوبا قديما لمناسبات جديدة متنوعة.

إلى جانب الإشكاليات التي أتينا على ذكرها، بقيت الأبحاث السيميائية متوقفة عند تفسير العلامات البسيطة. والحال أن العلامات التي تتوفر فيها درجة عالية من الفن والجمال هي في كثير من الأحيان، وخصوصا في الأقاويل الشعرية واللوحات والأفلام والفيديوات وعلى العموم في الأنساق المتعددة الوسائط، ذات تركيب يبدو أنه يخضع لقواعد منضبطة. وحتى الآن، على حد علمنا، لم يجر تحليل هذه التراكيب وتقنينها. صحيح أن البلاغة العربية تطرقت إلى الاقتران المسمى بمجاز المجاز، وصحيح كذلك أن بيرس أشار إلى الدلالة الدرجة الثانية عند تمييزه بين العلامات الأصيلة Genuine والعلامات الفاسدة أو المنحدرة degenerate. فالايقونة المنحدرة هي حاصل ضرب ايقونة بايقونة. هكذا مثلا الصورة الفوتوغرافية للوحة الجوكوندا هي ايقونة الجوكوندا، وصورة تمثال أفلاطون هي من هذا النوع:

ومن الظاهر أن هـذا التمييز بين الايقونات يوازيه في اللغـات التمييز المتعارف عليـه بين اللغـة الشيئيـة Object-language واللغة الماورائيـة أو الفـوقيـة Metalanguage. لكن بيرس تـوقف عند هـذا الحد، إذ لم يكن غـرضه معـالجة العـلامات النـاجمة عن ضرب عدة دلالات بعضهـا ببعض . فما أسماه بـالأيقونـة المنحدرة ينحصر بالمعادلة :

أيقونة أصلية×أيقونة أصلية=أيقونة منحدرة

وبالطبع، ليس من العسير على القارىء أن يستشف إمكانيات أخرى متنوعة ذات أهمية شاعـرية أكبر. يكفي لذلك أن يأخذ بعض أنـواع العلامات ويضربها بعضها بالبعض.

وعلى سبيل المثـال، إذا أخـذنـا الثـلاثية : استعـارة، شـاهـد، رمـز، حيث الاستعارة هي إحدى فروع الايقونة نحصل على هذا الجدول من الاحتمالات :

⊗	استعارة	شاهد	رمز
استعارة			
شاهد			
رمز			

فمثال الدلالة الناجمة عن ضرب الشاهد بالاستعارة دلالة الجعل على الشمس، عند قدماء المصريين :

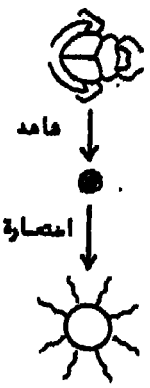

إذ أن الجعل يدل على كتلـة السماد بالمجاورة، فهـو شاهد عليها، وهـذه الكتلة تميل إلى الشمس بسبب شكلها الكروي (استعارة).

إن الصعوبـة في هذا النـوع من الجداول تكمن في استحالـة ضبط عملية الضرب بصورة منطقية رياضية، فالمعادلة :

استعارة × استعارة = استعارة

لا تصح بـالنسبة إلى نظـريـة المجمـوعات. لأنـه إذا فسرنـا الاستعارة بـاشتراك خصائص بين شيئين ومثلناها بدائرتين متقاطعتين على هذا النحو:

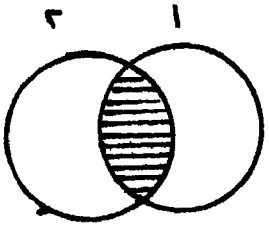

فليس من مانع أن يشبه الشيء الأول الثاني، والثاني الثالث، دون أن يحصل تشابه وبالتالي استعارة بين الأول والثالث، كما يتضح من هذا الرسم:

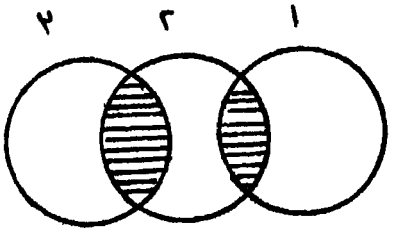

إذ لا خصائص مشتركة بين الأول والثالث. مع ذلك فقد يتفق في بعض العلامات اللغوية أو التصويرية أن نستعير الشيء الأول للثالث، وكأن الشبه المعتبر هنا هو ما يسمى عند فتغنشتاين Wittgenstein بالشبه العائلي Familienahnlichkeit.

على كل حال، إن استقصاء هذه الأنواع من التراكيب يشكل الطريقة الفضلى لتفسير الصور البيانية ولتوضيح الشعائر والحركات الطقوسية والرموز الغامضة، وذلك بردها إلى سلسلة من عمليات الضرب الدلالية.

إلى جانب هذا التركيب العامودي للدلالات، ثمة جانب أفقي لم يول بعد الأهمية التي يستحقها:

فالمدلالولات (م) لا تتعلق فقط بالعلامات الفردية (ع١ أو ع٢ أو... أو ع ن)، بل أحيانا ما تلحق بمنظوم ما من العلامات وفقا للتركيب النحوي، وقد تتداخل عدة توابع Function دلالية بالنسبة لمنظوم ما. فعدم الأخذ بعين الاعتبار لتراكب التوابع أو الوظائف الدلالية قد يؤدي إلى سوء الفهم والخلط بين الصور البيانية. لنوضح ذلك بمثل بسيط: فالبلاغيون العرب يصنفون مضمون العبارة «سليل النار» بين الكنايات، بينما البلاغيون الإفرنسيون يعتبرونه استعارة. وهذا التباين في التصنيف يعود إلى أن

ع١ ع٢ ... ع ن
↓
م١
↓
م٢

المدلول المقصود من «سليل النار» أي السيف يحصل عن تداخل التابعين الدلاليين معا أي الاستعارة والكناية. فأولا تجرى استعارة السليل للمصنع (أو الناجم عن)، ومن ثم يستعمل المركب «المصنع في النار» كناية عن السيف. هذا ما يمكن إيجازه بالمعادلة الآتية:

كناية (استعارة (سليل) النار)=سيف

حيث يتبين لنا بجلاء من طريقة الكتابة هذه، إن الدلالة المجازية هنا هي كناية لمعنى مركب جزؤه الأول مستعار.

هذا المثل لا يشكل سوى حالة بسيطة من حالات متنوعة. فالتقاليب الممكنة رياضيا كثيرة. هكذا مثلا مع تابعين، لنقل الكناية والاستعارة، ومع علامتين (ع١، ع٢)، يمكن الحصول على مجازات مركبة، من الأنواع الآتية:

كناية ((ع١) استعارة(ع٢)).

كناية (استعارة(ع١) استعارة(ع٢))

استعارة (كناية (ع١) استعارة(ع٢))

الخ...

وبالطبع، كلما ازداد عدد التوابع الدلالية وعدد العلامات، ازداد عدد التقاليب، وبالتالي عدد المجازات المركبة. لكن هذا لا يعني أن كل تقليب ممكن رياضيا يجب أن توافقه بالفعل صورة مجازية مقبولة. بل يبدو أن ثمة حاجة إلى إدخال قيود إضافية لإقصاء التقاليب التي لا تقبل التحقق.

على كل حال، هذه هي الطريقة الموثوقة التي يجب الانطلاق منها لفهم الدلالات المركبة. كما أن هذه الطريقة تفتح لنا المجال لبناء دلالات مجازية جديدة غير متوقعة، وذلك بشكل آلي. وليس من الصعب على القارىء أن يتحقق بنفسه النتائج المذهلة في وضوحها ودقتها، إذا ما حاول تطبيق التحليلات المذكورة على الأنساق البسيطة نسبيا مثل اللوغوات Logo والإعلانات وإشارات السير والقصائد البصرية الخ.

إن المنطلق النظري للسيمياء الذي تم عرضه لاقى اعتراضا قويا من كثير من الباحثين. وحجتهم الأساسية أن هذا العلم يشمل ميادين واسعة متباينة جداً، بحيث انه من التعسف، بل من الخطأ، أن نفرض عليه بصورة قبلية مفاهيم عامة نحاول تطبيقها على مختلف الميادين العينية. وبالفعل، لم يظهر بعد علم يضاهي السيمياء بالشمولية والتنوع.

فأمبرتو إيكو Eco، على سبيل المثال، يعرض من الأبواب التي تتناولها السيمياء المجالات الآتية: علامات الحيوانات، علامات الشم، الاتصال بواسطة اللمس، كودة المذاق، الاتصال البصري، أنماط الأصوات والتنغيم Intonation، التشخيص الطبي، حركات وأوضاع الجسد، الموسيقى، اللغات الصورية، اللغات المكتوبة، الأبجديات المجهولة، قواعد الآداب، أنماط الأزياء، الأيديولوجيات، الموضوعات الجمالية والبلاغية. بل إن البعض يذهب أبعد من ذلك في توسيعه لمجال السيمياء، ليشمل الاتصال ما بين الخلايا الحية Bionique وحتى الاتصال ما بين الآلات Cybernétique.

وقد أدت الأبحاث التي انطلقت من استقصاء بعض هذه المجالات الفرعية إلى مفاهيم وأقسام للعلامة مغايرة لتلك التي شاعت مع بيرس. فمثلا أنواع العلامات التي وقع عليها ليتش E. Leach في دراساته الأنثروبولوجية البنيوية، تختلف عن الأنواع المتعارفة عند اتباع دو سوسير. كذلك مقاربة إكمن Ekman وفريزن[٧] Friesen للاتصال غيراللفظي قد أدت إلى تعيين خمسة أصناف من التعبيرات السلوكية هي:

الشعائر Emblems والإيضاحيات Illustratorsوالمنظمات Regulators والمكيفات Adaptors والبوحيات Affect displays، وهي أصناف لا تمت بأدنى صلة إلى أنواع العلامات المعهودة في السيمياء الفلسفية.

بالطبع، ليست كل المجالات الفرعية التي أتينا على ذكرها بذات الأهمية من حيث البنية والمقدرة

الإبلاغية. فلا شك أن أنساق اللغات الطبيعية والرمزية هي أكمل الأنساق السيميائية وأكثرها تطوراً. لذلك استأثرت العلوم اللسانية بالنصيب الأوفر من الأبحاث بل فاقت الدراسات السيميائية ذاتها. صحيح أن بعضا من الفروع السيميائية. قد تطور إلى درجة أنه أصبح علما مستقلا بذاته، كما حدث مثلا مع علم الحراكة أو الكينزياء Kinesics الذي وضع أصوله بردوستل[٨] R.Birdwistell لكن هذا العلم لم يستقر إلا على قاعدة لسانية. يكفي اعتبار تدرج الوحدات الحركية في الكينزياء من Allokine وKine إلى Kineme وKinemorpheme حتى يتجلى لنا الشبه البارز بينها وبين الوحدات اللسانية.

بشكل عام، إن حمل المفاهيم اللسانية على مجال آخر من الأنساق السيميائية قد يكون مجديا ومثمرا إذا كان هذا النسق من الأنساق الرقمية (أو العقدية) Digital. أما إذا كان النسق تماثليا Analogic كما هي الحال مع الصور الفوتوغرافية واللوحات غير التجريدية، فمحاولة تطبيق ما هو معروف في علمي النحو والدلالة اللغويين عليه ستبوء لا محالة بالفشل. لنأخذ على سبيل المثال التمفصل أو التقطيع المزدوج La double articulation الذي لاحظه مارتينه A.Martinet في اللغات الطبيعية، ولنحاول أن نكتشف في هذا الرسم التمثيلي مثلا:

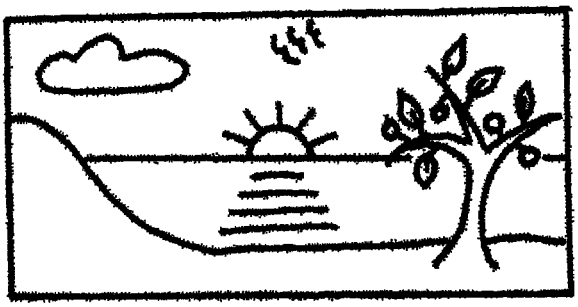

الوحدات الدلالية الموافقة للكلمات. فإذا افترضنا أن صور الغيمة والطير والشجرة هي بمثابة الكلمات، فماذا تكون العلامة الدالة على الشمس، أهي نصف كلمة؟ ثم ماهي الاشكال الفرعية التي يمكن أن تلتئم منها العلامات المذكورة. فإن أمكن اعتبار صور الثمار والأوراق بمثابة حروف لصورة الشجرة، فما هي الحروف مثلا بالنسبة لصورة الغيمة؟ علاوة على هذه التساؤلات، ثمة صعوبة أساسية في كيفية اختيار اتجاه تتابع العلامات الفرعية وبالتالي ضبط ترتيبها. فكل الاحتمالات متاحة: يمكن الانطلاق أفقيا أو عموديا أو قطريا، من اليمين إلى الشمال ومن فوق إلى تحت وبالعكس الخ. من هذا المثل يتضح لنا، إن لم يكن تعذر تفكيك العلامات التماثلية إلى أشكال فرعية، فعلى الأقل العسر البالغ في دراسة مبنى هذه العلامات.

مع ذلك، فوجود هذه الإشكالات والصعوبات لم ينل من عزيمة الباحثين، بل كان حافزا لهم للتسابق على اكتشاف مجاهل سيميائية جديدة والانكباب على استقصاء معالمها، والبحث عن نماذج يمكن أن تلقي أضواء كاشفة على شتى أقاليم العلامات.

فيما يخص الاشتغال بهذا العلم في العالم العربي، فإن معظم الجهود تركزت على سيمياء النصوص اللغوية. فالكتب والمقالات التي تعالج القصيدة والقصة والرواية متوفرة بغزارة. كذلك لا تخلو المكتبة العربية من بعض المؤلفات حول السيمياء النظرية[٩]. أما الدراسات عن الأنساق غير اللفظية فهي نادرة أو شبه معدومة. فليس هناك سوى قلة من الأطروحات الجامعية غير المنشورة، التي تتناول سيمياء الرسم والتصوير والمسرح

وعلوم الإيماء Gestics والحراكة Kinesics والبونية Proxemics من الناحية التطبيقية. وبالرغم من بدايات حركة ترجمة في هذه المجالات، فلا يمكن القول إن الترجمات[١٠] التي حققت حتى الآن تسد العجز في التأليف، ناهيك عن أن أغلبية هذه الترجمات تعتمد على التيارات الفرنسية.

أما عن المصطلحات فالفوضى هي السائدة. فبالإضافة إلى الصعوبات التقليدية المعروفة التي تواجهها اللغة العربية في ترجمة الألفاظ الأجنبية، وخصوصا تلك الألفاظ المركبة من دمج عدة مورفيمات في كلمة واحدة، فهناك عاملان أساسيان مسئولان عن الخلط والاضطراب: فأولا، التدفق المستمر في المصطلحات، الناجم عن التنوع الهائل في المجالات السيميائية، حشر المترجم العربي في إحدى موقفين، إما في موقف الحاجز عن متابعة الترجمة والنقل، وإما في موقف العابث الذي يلهو في إلقاء الكلمات الرديفة اعتباطيا. وثانيا، إهمال التراث، إن لم يكن جهله، في علوم الدلالة والمنطق والبلاغة وأصول التفسير، جعل الباحث العربي يستحدث مصطلحات غريبة أدت إلى تشويش في الفهم بدلا من التواصل المطلوب.

هذه أمثلة على بعض الترجمات المطروحة:

فالعلم نفسه أي الـ Sémiotics يترجم بـ: السيمياء، السيمية، السيميائية، السيميوطيقا، السيميولوجيا والرموزية. والأفضل «السيمياء» لأنها كلمة قديمة متعارفة على وزن عربي خاص بالدلالة على العلم. أما التفرقة بين السيميوطيقا والسيميولوجيا فلم تعد قائمة بعد أن قرر المؤتمر العالمي للسيمياء بتبني مصطلح الـ Semiotics.

Code: كودة، سنن، دستور، شيفرة. واللفظة الأولى هي الأصلح، لأن كلمة «سنن» مقصورة على الشرع وكلمة «دستور» على الحقوق، و«الشيفرة» على الكودة السرية.

Sign: علامة، دليل. فكلمة «دليل» التي جرى استعمالها عند المغاربة تؤدي إلى الالتباس، لأن معناها الشائع هو البرهان عامة، وقد تستعمل بمعنى الشيء الدال. وسبب الخلط في هذه الترجمة هو أن ابن سينا يستعمل في المنطق تعبير «قياس أو برهان الدليل» مرادفا للتعبير الفرنسي «La preuve du signe». لكن المثل الذي يرد في هذا السياق وهو أن «هذه المرأة هي ذات لبن، إذن قد ولدت» يشكل قرينة بالمعنى الخاص وليس علامة بالمعنى العام.

Signal: إشارة، علامة. والأصح إشارة لأن الـ Signal هو من صنف الإشاريات (المبهمات) Deixis.

Indice: (كلمة فرنسية) قرينة مؤشِّر، أمارة. لكن كلمة «أمارة» غير صائبة إذ لا تختص بعلامة المجاورة بل تطلق على كل علامة ظنية.

Interpretant: تعبير، مؤوِّل.

Semiosis: تسويم، سيأمة، سيميوزس، سمطقة.

Rhema: تصور، مفرده، خبر. والواضح أن كلمة «خبر» غير مقبولة لأن الـ «Rhema» هي القول الناقص مبتدأ كان أم خبراً.

Performatif: إنشائي، إنجازي، إيدائي. وكلمة «إنشائي» هي اللفظة المتداولة عند البلاغيين والأصوليين في الأبحاث التي تدور حول نظرية الأفعال الكلامية.

الخ...

الهوامش

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ص٤٨٨ .
(٢) المرجع ذاته، ص ٤٨٧-٤٨٨ .
(٣) الجرجاني، حاشية على شرح الشمسية، ص١٧٦ .
راجع أيضا كتابنا: علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة .
(٤) لمزيد من التفاصيل، راجع كتابنا: تيارات في السيمياء، دار الطليعة .
(٥) انظر: Sémiotik, Allgemeine Theorie der Zeichen
(٦) راجع: Trattato di semiotica Generale
(٧) راجع بحثها: «Nonverbal Behavior in Psychotherapy Research»
(٨) انظر كتاب: Kinesics and context
(٩) انظر على سبيل المثال: دروس في السيميائيات، جنون مبارك، دار توبقال. تيارات في السيمياء، عادل فاخوري، دار الطليعة .
(١٠) ومنها مثلا: المقالات المترجمة في كتاب: مدخل إلى السيميوطيقا، إشراف: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد. دار إلياس العصرية .
وترجمة رئيف كرم لكتاب كير إيلام: سيمياء المسرح. المركز الثقافي العربي.
وترجمات انطوان أبي زيد لكتب أمبرتو إكو.
وكذلك ترجمة بعض مؤلفات رولان بارت الخ .